أنت صنعت سقوطك

كَثُرَتْ حوادثُ السرقة في عهد السلطان محمود، وفي ليلةٍ لبسَ السلطانُ ملابسَهُ متنكِّراً، وبينما هو يتجوَّل في الأزقَّة الْتَقَى بمجموعةٍ من اللصوص، فقال له أحدهم:

ـ ايه يا صديقي؛ ماذا تفعل في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وفي هذا المكان المُقْفِرِ.. عمَّاذا تبحث؟!

أجاب السلطان:

ـ أنا أيضاً لصٌّ مثلُكُم.

أفسحَ اللصوصُ مكاناً للسلطان بينهم، وبينما هم يتحدَّثون قال أحدهم:

ـ يا أصدقاء؛ ما رأيكم أنْ يتحدَّثَ كلٌّ منَّا عن موهبتِهِ، وما الذي يتقنُهُ أو هو بارعٌ في صنعِهِ؟

وقف أحد اللصوص وقال:

ـ أنا أفهم في لغةِ الكلاب، فعندما تعْوِي الكلابُ أعرف ما الذي تقوله، وما الذي تعنيه.

ضحك اللصوص، فقال:

ـ هذه الموهبةُ تساوي درهمين.

وبدأ كلٌّ واحدٍ يعرضُ موهبتَهُ، فقال أحدهم:

ـ أنا موهبتي في عيني، أستطيع أنْ أرى فيهما في الظلام، وأستطيع أنْ أميِّزَ الشخصَ كما لو أنَّني أراه في وَضَحِ النهار.

ـ أنا موهبتي في قوة ذراعي، أستطيع أنْ أحطِّم أيَّ جدار.

وقال آخر:

ـ أنا موهبتي في أنفي، أستطيع اكتشافَ مكانِ أيِّ خزنةٍ تريدونها عن طريق تَتَبُّعِ رائحتِهَا.

وهكذا استمر اللصوص واحداً تلو الآخر بالتَّفَنُّنِ في عرضِ مواهبهم.

وجاء دور السلطان محمود!

ـ هيا أيُّها الصديق الجديد.. هات ما عندك.. ما هي موهبَتُك؟

قال السلطان محمود:

ـ أنا موهبتي في لحيتي، فأنا إنْ حُكِمَ عليَّ بالسجنِ أو الإعدام، أستطيع أنْ أنجوَ بمجردِ أنْ ألْعبَ بلحيتي!

ـ يا إلهي! يا لَهَا من موهبةٍ رائعةٍ، منذ الآن فصاعداً ستكون أنت زعيمنَا، وسنفعلُ كلَّ الذي ستقولُهُ لنا.

ـ حسناً.. ما دام أنَّني زعيمُكم، هيا إذاً إلى خزينةِ السلطان.

لم يبدِ أيٌّ من اللصوصِ أيَّ اعتراضٍ، وتوجَّهُوا جميعاً إلى قصرِ السلطان.

وعند اقترابِهِمْ من قصرِ السلطان بدأ كلبٌ هناك بالنُّباح، فقال اللص الذي ذكر أنه يعرف لغة الكلاب:

ـ انتظروا.. قفوا لحظة.. هذا الكلبُ يقول: إنَّ السلطان معكم!

ردَّ عليه اللصوص الآخرون:

ـ لا تتفوَّه بكلامٍ سخيف، هيا لنكملْ ما جئنَا من أجله.

وبحث الرجل الذي يعرف مكانَ الخزينة عن طريقِ تَتَبُّعِ رائحتِهَا، ودخلوا إلى مكانِ الخزينة بعد أنْ مكَّنَهُم الرجل القويُّ من الدخول إلى المكان الذي فيه الخزينة، فأخذوا من محتويات الخزينةِ ما استطاعوا أخْذَه، وعادوا إلى مخبئِهِمْ عن طريقٍ سرِّيٍّ.

وبعد أنْ عرف السلطان مخبأَهم والطريقَ المؤديةَ إليه، عاد إلى القصرِ بهدوء وسرِّيَّة، وفي صباح اليوم التالي أرسلَ السلطانُ جنودَه إلى المكانِ الذي يختبئُ فيه اللصوص، وقبضوا عليهم متلبِّسِين بالجُرْمِ المشهود، وجاؤوا بهم مكبَّلِينَ إلى القصر، واقْتِيدُوا إلى الساحة لتنفيذِ الحكم العادلِ الذي يستحقُّونَهُ، وكان جميعُهُمْ يرتعدُ من الخوف.

وفجأةً قال الرجل الذي يتعرَّفُ على الأشخاص إذا رآهمْ في الليل مشيراً إلى السلطان:

ـ يا إلهي؛ إنَّ الرجل الذي كان معنا بالأمسِ، يجلسُ الآن على العرش!

عندَها قال السلطان موجِّهاً كلامه إلى اللصوص:

ـ نعم يا أصدقائي؛ البارحة كنتُ معكم، وكلٌّ منكم قد استخدمَ موهبتَهُ، وأثبتَ براعتَه، بقيتُ أنا الشخص الوحيد الذي لم أستخدمْ موهبتي، والآن جاء دوري.

وبحركةٍ من رأسِ السلطان نجا اللصوص من تنفيذِ العقاب.

بالرغم من أنَّه لا يليقُ بالعبد أنْ يرتكب المعصيةَ في حقِّ الله تعالى، ومهما أكثر من الذنوب فإنَّ الله يعفو عنه ويغفر له، ويكفي العبدَ أنْ يدقَّ بابَ الله تعالى طالباً الرحمةَ والمغفرةَ ليمنحَهَا سبحانه له.